ولكن العدو الصهيوني في عام ١٩٧٦ هو غير ما كان عليه عام ١٩٦٧، وكذلك الحال بالنسبة لسكان الجليل من العرب الفلسطينيين . فبينما انكسرت شوكة الاول في حرب تشرين ، تنامى الشعور القومي والانتماء الى النضال الفلسطيني لدى الثاني . وهكذا عندما تحرك العدو لمصادرة الاراضي الجديدة ، تحرك عرب الجليل، بتضامن لم يسبق له مثيل ، ومعهم اخوة لهم في الضفة والقطاع وخارج الارض المحتلة ، للتصدي لمخطط السلب الجديد . وكان العدو يدرك جيدا مدى الخطورة التي ينطوي عليها مثل هذا التحرك من قبل من كان يعتقد انه تم تدجينهم . والاخطر من ذلك علمه بمدى التحام هذا التحرك بما يجري في الضفة ، وبالتالي علاقة ذلك كله بما يدور على الساحة الفلسطينية ككل . وكان انتخاب الشاعر الوطني ، توفيق زياد ، مرشح حزب راكاح ، رئيسا لبلدية الناصرة العربية مؤشرا واضحا الى التحول الذي حصل لدى عرب الجليل في السنوات الاخيرة . ومن هنا كان تصميم العدو على قمع هذا التحرك المضاد لمخططه ، من خلال مظاهرة عرض عضلات تستعيد له هيبته المفقودة ، اضافة الى تنفيذ مخطط السلب الكبير . وقد وصل فقدان التوازن لدى العدو ذروته عندما هدد قائد قواته على الجبهة الشمالية باجتياح قرية سخنين الثائرة، ان هي لم تنصع لاوامره . ولكن ذلك لم يجد سلطات العدو فتيلا، فما ان اقتربت قوات قمعه من القرية العربية المضربة في يوم الارض ، حتى انفجر الصدام الدموي معبرا عن التناقض القائم بين الطرفين حول العلاقة بالارض.

ولم يقتصر الصدام على مالكي الارض المفرزة للمصادرة ، او على الطبقة التي ينتمون اليها . فهؤلاء ممثلون بالوجهاء ورؤساء البلديات والمخاتير ، عقدوا اجتماعا في بلدة شفا عمرو قبل الاضراب في « يوم الارض » ، وتداولوا في الامر وقرروا عدم اللجوء الى الاساليب الجماهيرية وفضلوا اسلوب الوساطة التقليدية مع السلطة . وبالفعل فقد الفوا وفدا لمقابلة رئيس حكومة العدو في محاولة لاقناعه بالعدول عن قرار حكومته . الا ان الوفد عاد صفر اليدين ، اذ رفض رئيس حكومة العدو قبول طلبهم . ومع ذلك فقد ابدى هؤلاء استياءهم ومرارتهم من مصادرة الاراضي ، وعمدوا الى اتخاذ خطوة اكثر جراة قد تضعهم على سكة الصدام الاشد مع سلطات الاحتلال . فقد الف هؤلاء وفدا يسافر الى الخارج للقيام بحملة اعلامية عن تصرفات العدو تجاه عرب الجليل . وهذه الطبقة من ابناء الارض المحتلة ، التي بطبيعة تركيبها ومصالحها ، كانت اول من هادن سلطات الاحتلال ، قد عادت اليوم ، تحت ضغط واقع الاحتلال، لتغير توجهاتها وتقترب من جماهير شعبها وتشارك ، ولو بحدود ، في نضالها . وهكذا بدأت المناوشة بين هذه الطبقة وسلطات الاحتلال . واكيدا انها تتصاعد، ولا بد لها من ان تفرز الغث من السمين في هذه الطبقة من الوجهاء . والاكيد ايضا ان ما قاله رئيس بلدية سخنين « نحن مع الارض » يمثل موقف الاكثرية من هؤلاء الوجهاء ومالكي الارض . واكبر دليل على ذلك ان تعلقهم بالارض جعلهم يتحملون كابوس الاحتلال ويفضلونه على التشرد من الارض والانفصال عنها .

وكذلك لم يقتصر الصدام في يوم الارض على نشيطي الاحزاب . وعلى صعيد التكتلات السياسية القائمة بين عرب الجليل ، برز حزب راكاح بنشاط في تنظيم ذلك اليوم والدعوة الى الاضراب فيه . وكذلك فقد تصدى حزب راكاح لاعمال السلطة القمعية في ذلك اليوم . ونشط راكاح في تنظيم لجنة الدفاع عن الارض وفي التحريض على المشاركة الجماهيرية في الاحتجاج على سلب الاراضي العربية . ولكنه تنصل من اعمال العنف التي نتجت عن الصدام بين الجماهير